الأهرام

المصدر: الشـــرق الاوســـط

التاريخ: ١٤ ذو الحجـــة ١٤٠٦هـ

# المسلمون في أوغندا والحرب الخفية (؟)

بقلم: عامر مصطفى عبيد

جرى في الحلقة الاولى إستعراض الاوضاع الراهنة للمسلمين في اوغندا وخاصة اللاجئين منهم الذين اخذوا يعودون إلى موطنهم بعد استقرار الاوضاع واستيلاء الجيش الشعبي الاوغندي على مقاليد السلطة في البلاد. إلا ان ذلك لا يعني ان رحلة العذاب قد انتهت بالنسبة لهؤلاء العائدين، فالحرب الاهلية والحكومات السابقة قد احالت البلاد إلى صحراء قفراء، والمنظمات التابعة للهيئات التبشيرية سارعت لتقديم المساعدة للاجئين العائدين، وبالطبع فانها ستوجه جـزءاً من نشاطها للتجمعات الاسلامية، ولكن هذه المساعدات لا تقدم بدون اغراض خفية بل يمكن إعتبارها إستمراراً للحرب الخفية التي تعرض لها المسلمون منذ عام ١٨٦٢م عندما غزت القوات الاستعمارية البريطانية اوغندا. عن هذه الحرب وكيف تحولت الاغلبية المسلمة صاحبة السلطة والسيادة في اوغندا إلى اقلية مهملة مشتتة بين البلدان المجاورة، او في المناطق المقفرة من البلاد، نخصص هذه الحلقة.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

لقد كانت اوغندا، كما هو معروف، مرشحة من قبل الدوائر الاستعمارية البريطانية، لتصبح الوطن القومي الذي يجمع شتات اليهود، على أن تلعب، بموقعها الاستراتيجي وبثرواتها الضخمة، الدور الذي يقوم به النظام العنصري في جنوب افريقيا الآن، وكذلك ما يقوم به الكيان الصهيوني في فلسطين. إلا أن المتتبع لتاريخ هذا البلد الافريقي، الذي اطلق عليه ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، «لؤلؤة افريقيا»، يجد أن الذي دبر ضد سكانه لا يختلف كثيرا عن الذي حاكته نفس القوى الاستعمارية ضد شعب فلسطين.

كان الدين الاسلامي أول ما عرفه سكان أوغندا، تماما كما هو الحال بالنسبة للبلدان الافريقية الأخرى، بل إن ملك البلاد كان مسلما، وعليه فإن غالبية سكان البلاد كانوا يدينون بالاسلام وأن الطابع الاسلامي هو السائد في جميع أوجه النشاط والحياة العامة، واستمر الوضع حتى جاءت الحملات العسكرية الاستعمارية في عام ١٨٦٢، لتسيطر على أوغندا، وذلك ضمن المخطط الاستعماري الذي استهدف كل اقطار القارة السوداء.

وكانت أول خطوات الحركة الاستعمارية البريطانية تتركز على القضاء على الأغلبية المسلمة بأية طريقة، لأنها بذلك تمحو الطابع الاسلامي عن هذا البلد الافريقي، كما انه يسهل، بتغيير هذا الطابع، التحكم بمقاليد الأمور، وليستمر هذا التحكم حتى بعد الاستقلال.

لقد استهلت الحركة الاستعمارية البريطانية مؤامرتها بغزو عسكري سافر، كما ذكرنا انفا، بدأ في عام ١٨٦٢م ثم اتبعته بحرب خفية من خلال حركات التنصير التي بدأت تزاول نشاطها منذ ١٨٧٨م. مثل هذا التدخل والاستفزاز أدى إلى صدامات ملحة بين الجانبين واستمر اكثر من عشرين سنة، وبذلك أوجدت بريطانيا لنفسها عذرا للتدخل وذلك بحجة الفصل بين المتحاربين، المسلمين والمسيحيين، وتم التوصل وسط هذه الظروف السيئة التي فرضتها السياسة الاستعمارية على المسلمين إلى معاهدة صلح بين الأطراف المتحاربة، والمضحك المبكي أن بريطانيا هي الحكم في هذه المعاهدة.

## المعاهدة الأوغندية

أنهت بريطانيا الاضطرابات بين الجانبين بمعاهدة وقعت في عام ١٩٠٠م، اي بعد ٣٨ سنة من الغزو الاستعماري، وبعد اكثر من عشرين سنة من الصدامات الدامية بين المسلمين وبين المسيحيين،

وبالطبع كانت فترة كافية للقضاء على معظم قوة المسلمين وتقليص مقاومتهم إلى درجة لا تذكر. وهذا الوضع فرض على المسلمين التوقيع على معاهدة كانوا فيها أقرب إلى المهزومين منهم إلى اي وضع آخر، وان المفاوضات كانت مجرد مسرحية هزلية صورية ليس أكثر. ويبدو مثل هذا الواقع الاليم في البنود التي تضمنتها المعاهدة إذ اعطت المعاهدة منصب رئيس الوزراء لمسيحي بروتستانتي، ووزير المالية لمسيحي من نفس الطائفة، والعدل لمسيحي كاثوليكي، وفوق ذلك فان ملك البلاد يجب ان يكون مسيحيا بروتستنتيا. ولم تعط المعاهدة للمسلمين اية مناصب وزارية أو عليا.

وبالنسبة للتقسيم الاداري فقد قسمت البلاد إلى ٢٠ محافظة، وهو التقسيم المتبع

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

حتى الوقت الحاضر. وأعطيت إدارة ١٨ محافظة منها للمسيحيين البروتستانت والكاثوليك، وإدارة محافظتين فقط للمسلمين!

## توزيع الأراضي

ما اتبعته بريطانيا الاستعمارية بالنسبة للاستيلاء على الأراضي في فلسطين، اتبعته في أوغندا، عندما قسمتها إلى أراض للدولة وأخرى تابعة لمنظمات تنصيرية اطلقت عليها زوراً «جمعيات خيرية»، وتركت قسما للاستعمار الحر، أي ان الذي يستعمر الأرض تصبح له، وبالطبع فان هذا القسم تركته لعملائها ورعاياها القادمين من الخارج أو من يواليها بدون أرض يزرعونها، اي بدون المقومات الأساسية لمعيشتهم.

وهكذا تردت أحوال المسلمين الاقتصادية والمعيشية. وبعد مضي ٦٠ سنة أعطيت أوغندا إستقلالها، وكانت فترة كافية وسط الظروف الاقتصادية الرهيبة والمعاملة المتميزة في الوظائف والمناصب والتعليم، وأمام الحملات المكثفة للمنصرين... كانت كافية لتحويل المسلمين إلى أقلية مهملة!

## بعد الاستقلال

لم يكن حال المسلمين في أوغندا بعد الاستقلال بأفضل مما كانت عليه قبله، وللتدليل على ذلك فان سبعة انقلابات دبرت خلال عشرين سنة من الاستقلال، كانت كافية لابقاء البلاد في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار وازدياد التدهور الاقتصادي.

ومما زاد الأمور تعقيدا ان كل انقلاب كان يسبقه ويعقبه معارك دامية بين المناصرين والمناوئين، وهذا ما أحال أوغندا - ومعه موجات الجفاف التي اجتاحت افريقيا - إلى بلاد قفراء لا تكسوها إلا الهياكل العظمية وجماجم الضحايا، كما ان أكثر من ٢٥٠,٠٠٠ هجروها إلى بلدان افريقية مجاورة، وبالطبع كان للمسلمين من هذه الويلات نصيب الأسد.

فقد حكم ميلتون أوبوتي البلاد في عام ١٩٦٢. وأمام سياسته اليسارية المتطرفة التي كان يستقيها من تنزانيا، كان المسلمون المستهدفين في هذه الحملات، ثم جاء عيدي امين عام ١٩٧١، واستمر في الحكم حوالي ثماني سنوات. وقد عمل عيدي امين من أجل الارتداد ولو جزء من

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

حقوق المسلمين، وأن يزيل بعضا من المظالم التي أوجدتها معاهدة عام ١٩٠٠، وحاول أن يسحب أوغندا قريبا من العالم الاسلامي، لكن الاجراءات التي قام بها تعرضت لانتقادات شديدة، وأصبح يوصف بالديكتاتور الذي ألحق الظلم بالآسيويين وبقية السكان غير المسلمين.

وفي الواقع كان الذي يقوم به عيدي أمين بالنسبة للفرد الذي لا يعرف الخلفية التاريخية لأوغندا يتصور انه فعلا كان يظلم الآخرين بينما هو في الحقيقة، كان يحاول إصلاح ما افسدته الاجراءات الاستعمارية لفترة امتدت سبعين سنة..

وبالطبع من الصعب على عيدي أمين أو حتى العالم الاسلامي أن يبرهن مثل هذا المفهوم أمام تحكم الحركة الاستعمارية والصهيونية بوسائل الاعلام الغربية التي تلقن الفرد الغربي، بل وقطاعات واسعة من شعوب العالم الثالث بما تريده.. وهكذا فقد ترك عيدي أمين بعد أن صورت فترة حكمه بأنها اسوأ ما شهدته أوغندا.. ومعه تشوهت صورة المسلمين والاسلام.

## عودة اوبوتي

وقد انعكس هذا الانطباع في الطريقة التي استقبل بها ميلتون أوبوتي لدى عودته، ومن ثم في المعاملة الوحشية التي تعرض لها المسلمون على أيدي قوات أوبوتي ومعهم القوات التنزانية التي حملت أوبوتي وسلمته حكم البلاد!!

ولا ينبغي في هذه المرحلة إغفال دور مجلس الكنائس العالمي، والبلدان الغربية، والكيان الصهيوني في اسقاط عيدي أمين، واعادة أوبوتي، ولكنه هذه المرة بدون مبادىء ماركسية.

لقد عمل جيش أوبوتي على تحويل المساجد إلى ملاه ومنها الجامع الكبير في مدينة «ايرا» الشمالية، وكذلك الجامع الرئيسي بمدينة ميتيانا جنوبي أوغندا إلى مقر الحزب الحاكم، وحدث ذلك الشيء بالنسبة للجامع الرئيسي لمدينة «سورتي» شرقي البلاد، هذا ناهيك عن الاجراءات الأخرى التي عرقلت حرية المسلمين وقيدت حركتهم، وكما اشارت الشقيقة «المسلمون» في إحد أعدادها، فان حوالي ٨٠,٠٠٠ مسلم زجوا في السجون خلال حكم «أوبوتي» و «أوكيلو» الذي أسقط «أوبوتي».

وعلى كل حال فان شهر العسل التنزاني - الاوبوتي لم يكتمل بعد ان تحولت قطاعات كبيرة من القوات التنزانية التي تساند «اوبوتي» إلى لصوص وقطاع طرق. وهذا الوضع سهل الطريق امام «تيتو اوكيلو» قائد جيش الشمال للزحف على العاصمة كمبالا والاستيلاء عليها، ولم يكن زحفا، بل لأنه حرم من المكاسب التي كان ينتظرها من «اوبوتي» مقابل مساندته إياه.. وهكذا لم يكن عهد «أوكيلو» الوجيز بأفضل من الأحوال التي سبقته. وخلال هذه المدة كانت قوات الجيش الشعبي التي كانت تحارب ضد «أوبوتي» تواصل حربها ضد حكم «أوكيلو». وقد استطاعت أمام الوضع المتردي والفساد المستشري في البلاد أن تزحف على كمبالا وتسقط جميع معاقل «أوكيلو» الذي هرب إلى الخارج..

وكما كان «أوبوتي» يحابي أفراد قبيلة «لانجو»، فان اهتمام «أوكيلو» تركز على أفراد قبيلته «اشولي» ولقد تسلم زمام السلطة الآن وزير الدفاع سابقا «موسيفيني» ويتطلع العديد من المراقبين إلى وصوله بدرجة من الارتياح، وان العالم الاسلامي يتطلع بدوره أن يسود الاستقرار أوغندا، وأن تعيش جميع قطاعات الأوغنديين بسلام.. كما نأمل أن ترفع المظالم التي لحقت بالمسلمين، وأن يعطوا، وهم يشكلون الآن اكثر من ٤٠٪ من سكان البلاد، فرصة حقيقية للمساهمة في الحياة العامة وبناء انفسهم.. وإذا كانت الحكومة الجديدة قد رحبت بالمساعدات من جميع الجهات، فإن العالم الاسلامي مطالب بأن يساهم مع الحكومة الجديدة في إعادة بناء أوغندا «لؤلؤة افريقيا»!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية